# شرعة ومنهاج

عبد العزيز بن مرزوق الطريفي

٣٢

# الفطرة

لقاءات علمية مرئية ( مفرَّغة )

# الفهرس

الفطرة[1] ..... 1

- مفهوم الفطرة ..... 2
- الفطرة في نصوص الكتاب والسنة ..... 4
- أصل الفطرة والتحذير من تبديلها ..... 5
- الفطرة والعقيدة ..... 8
- وازع الطبع ووازع الشرع ..... 9
- الفطرة والغرب ..... 10
- معيار الفطرة ..... 12
- العودة إلى الفطرة ..... 14

[1] ) رابط الحلقة http://www.youtube.com/watch?v=ZRC8mNpwhhw

# مفهوم الفطرة

المرادبالفطرة من جهةالأصل الخلقة التي خلق الله تعالى الناس عليهاسواءالظاهرة أوالباطنة مما يتعلق بالقلب وميله ورغباته.

خلق الله الناس وفطرهم على فطرته كما قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30) يعنى الميل إلى الاعتراف والإقرار بكل ما يدل الله إليه الناس من المعاني والأحكام الحسنة .

والله خلق الخلق وجعل لهم ميول ورغبات لا تفسد بذاتها وإنما يفسد بعضها بعضا من اجتياح الشياطين والنفس الآمارة بالسوء وخصوم الباطل.

والله خلق الإنسان على خلقة سوية يحب الخير ويكره الشر إلا أن يطرأ عليه تبديل كما جاء (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ( كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)[٢] يعنى يطرأ عليهم انحراف سواء عقائدي أو أخلاقي .

لهذا الطفل لا يعرف الكذب فإذا سئل أجاب بما وقع من غير زيادة ونقصان وإذا رأى الكذب من والديه ومن حوله انحرف في هذا الباب ، لهذا الشريعة جاءت بالحفاظ على الفطرة .

والفطرة جاءت بكل شيء في صالح الإنسان ومن أعظمها توحيد الله تعالى فالإنسان مفطور على الإيمان بوجود الخالق فيقر بأنه مخلوق ومدبر ومصير ولهذا يخاف ويرجو ويحب وكأنه متعلق بشخص مفقود ولهذا جُل أهل الأرض يتوجهون إلى مؤثر وهذا المؤثر سواء سموه خالق أو سموه مؤثر على اختلاف العبارات فمنهم من يتعلق بالكواكب ولو كان ملحدا .

والله تعالى هو الذي يدل المخلوق على الخالق بمعرفة أسمائه وصفاته;ولهذا فطر الله الناس على الإيمان به وصبغهم وطبعهم على ذلك كما في قوله﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾(الروم: 30)، وكما في قوله ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ

[٢] رواه البخاري ( 1358) ومسلم (2658).

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾(البقرة: 138) والصبغة هي الطبيعة والبيئة والصورة التي خلق الله الناس عليها سواء الظاهرة أو الباطنة .

والله تعالى جاء بجملة من المؤكدات تحذيرًا لتغيير الفطرة لأنها عماد فهم الشريعة وإذا أردنا أن نشير إلى المعاني التي جاءت بها الشرائع نجد كلها موافقة للفطرة كضعف الإنسان وقوة غيره وإيمانه بأنه مخلوق وأنه مدبر .

فجاءت الشريعة بصفات الخالق بنصوص الوحي من كلام الله وكلام رسوله فتدل الفطرة على أصل موجود فيها وأيضًا تربط بين الفطرة والخالق لهذا تجد فطر الناس على اختلافهم يؤمنون بوجود الخالق ولكن منهم من يظنه غولا ومنهم من يظنه جنًّا ومنهم من يظنه كوكبًا وغير ذلك ، لهذا يتيهون في تحديده فتأتي الشرائع في تعيينه والتحذير من الإشراك بالله تعالى.

وقد جاء من الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ قَالَ ( أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَغَزَوْتُ مَعَهُ فَأَصَبْتُ ظَهْرًا فَقَتَلَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ حَتَّى قَتَلُوا الْوِلْدَانَ، وَقَالَ: مَرَّةً الذُّرِّيَّةَ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ جَاوَزَهُمُ الْقَتْلُ الْيَوْمَ حَتَّى قَتَلُوا الذُّرِّيَّةَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُمْ أَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «أَلاَ إِنَّ خِيَارَكُمْ أَبْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ» ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ لاَ تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً أَلاَ لاَ تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً» قَالَ: «كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا وَيُنَصِّرَانِهَا») [٣] ولهذا يحرم قتل أبناء المشركين لأنهم على الفطرة الصحيحة لم تبدل بعد ، فدل النبي ﷺ الصحابة على الفطرة وحذر من مخالفة أمر الله تعالى كدلالة إلى الفطرة حتى لا يقع فيها خلل فيقع تباعًا خلل في استيعاب الشريعة .

[٣] ) أخرجه أحمد 435/3 (15673) قال: حدَّثنا يُونُس، حدَّثنا أَبَان، عن قَتَادَة. وفي (15673م) قال: حدَّثنا هُشَيْم، عن يُونُس. وفي (15674) قال: حدَّثنا إِسْمَاعِيل، قال: أخبرنا يُونُس. وفي 24/4 (16408) قال: حدَّثنا رَوْح، قال: حدَّثنا سَعِيد (ح) وعَبْد الوَهَّاب، قال: أخبرنا سَعِيد، عن قَتَادَة. وفي (16412) قال: حدَّثنا مُحَمد بن جَعْفَر، قال: حدَّثنا السَّرِي بن يَحيى. و"الدارِمي" 2463 قال: أخبرنا عاصم بن يُوسُف، حدَّثنا أبو إِسْحَاق الفَزَارِي، عن يُونُس بن عُبَيْد. و"النَّسائي"، في "الكبرى" 8562 قال: أخبرني زِيَاد بن أَيُّوب، قال: حدَّثنا هُشَيْم، قال: أخبرنا يُونُس.

# الفطرة في نصوص الكتاب والسنة

قد دلت نصوص الكتاب والسنة على الفطرة دلالة عظيمة سواء بالتصريح أو الإشارة ، والفطرة هي ما طبع الإنسان عليه من غير تبديل ولهذا نشأة الأولاد في الأرض في أول النشأة يكونون على الصدق والأمانة وحب الخير ، ثم يقع التبديل فيما بعد أما الفطرة من جهة الأصل فتبقى واحدة .

ومن الفطر ما يعجز الإنسان عن تبديله كالصدق فهو من المحامد حتى عند الملاحدة ، والفطرة التي جاءت في كلام الله ورسوله إشارة إلى الحفاظ عليها من التبديل كما ينبغي الحفاظ على نصوص الشريعة من التبديل .

وإذا وقع تبديل في الفطرة وقع تبديل في فهم النصوص الشرعية فالله تعالى حينما أنزل النص أنزله ليتعرف الناس عليه لأن فطرتهم ليست مبدلة فإذا تبدلت فطرتهم فلن يتعرفوا على نصوص الله على مرادها .

**ومن نصوص الشريعة في الفطرة :**

**قوله تعالى ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾**(الروم:30)

**وقوله تعالى ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾**(البقرة: 138)

**وقوله تعالى ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾** (الحج:78)

وأعلى الفطر الإيمان بوجود الخالق وإن تحيروا في تحديده والشرائع جاءت بالربط حتى لا يتيه الإنسان فلا يعبد صنمًا ولا كوكبًا فيأتي الأنبياء حتى لا يضلوا ولهذا جاء **(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ تَسُوسُهُمْ أَنْبِيَاؤُهُمْ كُلَّمَا ذَهَبَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَأَنَّهُ لَيْسَ كَائِنٌ بَعْدِي نَبِيٌّ فِيكُمْ)**[٤] حتى لا ينحرفوا عن طريق الحق بالشيطان أو النفس الآمارة بالسوء أو من ضل قبله فيريد به إغواءً وزيغًا .

[٤] رواه البخاري( 3268 )، ومسلم ( 4879 ) ، والترمذي (499/4) وأبو داود (450/4) ، وجاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تفسير الآية 40 من سورة الأحزاب.

# أصل الفطرة والتحذير من تبديلها

البشرية من جهة الأصل مخلوقة على فطرة واحدة كما فطر الله تعالى الأنعام على فطرة واحدة فتجد الأشجار لها فطرة وطبيعة معينة والحيوانات لها فطرة معينة لا تتغير منذ أن خلقها الله إلى أن يرث الأرض ، فتجد الشاة والبقرة والبعير نمط الأكل والذهاب والمجيء على أمر واحد إلى أن تموت لأن الله ما سلط عليها نفس آمارة بالسوء وما سلط عليها شياطين ولا رفقاء السوء.

وأما الإنسان فركّب الله فيه الإيمان بمكارم الأخلاق من صدق وأمانة ووفاء بالعهد وحياء وعفاف وجعل هذه الفطرة في الإنسان ولكن إذا دخل عليها تبديل بسبب هذه الابتلاءات التي أبتلى الله بها الإنسان ليرى الصادق من الكاذب فأبتلى الله الناس بالنفس الآمارة بالسوء وكذلك قرناء الجن وخصوم الباطل فتجد نزاع في جانب الفطرة وتبديلها وهو من يحدث الاختلال .

**التحذير من تبديل الفطرة :**

في قول الله تعالى ﴿لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾(الروم:30) وقول النبي ﷺ(كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) [٥] المراد بذلك اليهودية المحرفة وليس المراد الدين اليهودي الأصلي مما جاء في شريعة موسى أو النصرانية الحق مما جاء في شريعة عيسى وهذا ما يراد بذكر اليهودية والنصرانية ، فالإنسان من جهة الأصل يؤمن بأن الله واحد حتى يلقن .

والسبب في التحذير من تغيير الفطرة أن الله خلق الخلق على نوع معين فإذا لم يتغير وأتاه النص تعرف عليه وهذا كحال الكأس في ذاته مستقيم فإذا وضعت فيه امتلأ واستوعب ولكن إذا انثنى ثم وضعنا فيه ماء لا يمكن أن يستوعب إلا الشيء اليسير وهو في الأصل وضع للماء ولكنه بُدّل فلم يقبل من الماء إلا الشيء اليسير .

[٥] ) سبق تخريجه : انظر (2).

وكذلك فإن الله تعالى فطر الخلق على فطرة سليمة تفهم النص الشرعي فإذا اختلت الفطرة لا يمكن أن تفهم النص .

والشريعة جاءت بحماية الفطرة وحماية الشريعة السماوية فالله خلق الإنسان وحذره من التغير.

والشيطان توعدالإنسان بتغييرفطرته;ولهذايقول الله في كلام إبليس﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾(النساء:118) وذلك بتغيير الفطرة بتغيير جانب الحياء جانب الصدق جانب العفة فإذا تغيرت هذه الجوانب فلا يمكن أن يقبل النص ولهذا جاء في الحديث (عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ ، فَزَجَرُوهُ ، قَالُوا : مَهْ مَهْ ، فَقَالَ : " ادْنُهْ " ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، قَالَ : فَجَلَسَ ، قَالَ : " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ " ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ " ، قَالَ : " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ " ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ " ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ " ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ " ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ، قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)[٦] فهذا الرجل حينما رفض هذا الأمر إشارة إلى أن فطرته سليمة ولكن النفس الآمارة بالسوء والشيطان هما من يدعواه للزنا .

وإذا تبدلت الفطر لا نخاطب بخطاب النبي ﷺ فنقول له : أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ لأنه يرضاه لأخته لأن فطرته مبدلة ، فالتغيير حينما يقع في الفطرة لن يُفهم النص .

[٦] ) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة5/256 ، 257، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح 129/1، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم 370 ج1.

والأمم المبدلة كالأمم الإنحلاليةالتي يشيع فيها الفكر الليبرالي إذا خاطبتهم بالنصوص الشريعة لن يقبلوها بسبب توطنهم على الانحلال فيستنكروا النصوص فهم بحاجة إلى تعديل الفطرة حتى يستوعبوا النص .

ولهذا ينبغي على المصلحين والعلماء قبل توجيه الخطاب أن ينظروا إلى الفطرة هل هي مبدلة أم لا ; لهذا الصراع مع الليبرالية ليس صراع مع نصوص الوحي وإنما صراع مع الفطرة وعودتها إلى أصلها.

وقد جاء في تبديل الفطرة عن (أَبِي هُرَيْرَةَ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ قَالَ فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ قَالَ فَجَمَحَ مُوسَى بِأَثَرِهِ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى فَقَالُوا وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدُ حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ قَالَ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا)[٧] فبرّأ الله تعالى موسى من هذا بأمر الحجر أن يفر بثيابه حتى رأى الناس موسى سليمًا ، وكما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب:69).

والله سبحانه حينما اُتهم موسى من بني إسرائيل بأنه صاحب مرض وإنه يستتر من ذلك أراد أن يثبت براءة موسى ولكنه لم يأمر موسى أن يظهر عورته بدلا من فرار الحجارة وهو هين ، وكلٌّ على الله هين ، فغير الله عز وجل الله نظام الكون وجانب الجاذبية حفاظًا على الفطرة من أن تتغير ، فتغيير القانون الكوني أهون من تغيير قانون البشرية التي فطر الله تعالى الناس عليها .

وجانب الفطرة وجانب الحياء لو فتح منه باب كحال البالون فإنه سيتسع شيئًا فشيئًا لهذا شددت الشريعة ألا يفتح هذا الباب .

[٧] ) صحيح البخاري: 1/ 73، وصحيح مسلم: 7/ 99 باب فضائل موسى عليه السلام.

وقد جاء في الصحيح (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنْ الْإِيمَانِ) [٨] فالرجل من جهة منطقه صحيح ولكن اختلال الحياء يأتي بمفاسد أعظم لهذا قال النبي ﷺ (دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنْ الْإِيمَانِ) .

والشريعة جاءت مواكبة لفطرة الإنسان فإذا وقع تبديل فيجب أن نعود بالناس إلى الفطرة قبل التوجه بالنص حتى يفهم النص .

## الفطرة والعقيدة

الفطرة هي تركيبة الإنسان فيما يرغب ويحب ويميل وما يصدق به .

ولهذا ما يتعلق بجانب العقائد والإيمان بوحدانية الله والتعرف على الخالق بآياته والتعرف على آثار الله جل وعلا كذلك الأخلاق من جهة الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وكراهية الكذب والغيبة والنميمة .

فبعض الناس يغتاب في شهوة لكن لا يحب أن يغتابه أحد فإذا غاب هذا الجانب لابد من إحيائه في النفس هل ترغب أن يغتاب الناس فيك ! فتوقظ الفطره لديه .

ولهذا إذا بدلت الفطرة فالواجب على أهل العلم أن يأتي بنص قوي جدا حتى يعيد الفطرة إلى ما هي عليه .

فالشرائع لا تشدد على شيء الفطرة تنفر منه فمثلا الشرائع ما جاءت بتحريم شرب البول لأن الفطر تنفر منه وكذلك القاذورات ولكنها جاءت بتحريم الخمر والمسكرات لأن النفوس تميل إليها .

وكذلك الزنا واللواط قد جاء في كلام الله تعالى وسنة النبي ﷺ ميل النفس للزنا أكثر من ميله للواط فجاءت بنصوص أكثر حتى تدفع نزوة النفس .

[٨] ) رواه البخاري ـ كتاب الأدب برقم 5653 (2) رواه الحاكم في المستدرك 22/1 عن ابن عمر وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي ( صحيح ) حديث رقم : 3200 في صحيح الجامع السيوطي / الألباني (3) رواه أحمد (حسن) انظر حديث رقم: 935 في صحيح الجامع. (4) السلسلة الصحيحة / للألباني برقم 741 (5) رواه أبو داود عن حنيفة الرقاشي.(صحيح) انظر حديث رقم: 7662 في صحيح الجامع .

فالشرائع تأتي على رغبات الإنسان وإذا خفت الرغبات تخفف النصوص وإذا انحرفت النفوس تشدد النصوص لهذا بعث الله نبي لقوم لوط لأنهم انحرفوا وبدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها .

والناس ربما يتغيرون في زمن من الأزمنة فربما يطلبون نصوص يقولون أين النصوص الدالة على تحريم هذا الأمر ، وحينا تطلب نصًا على سبيل المثال مثل قضايا الستر والعفاف وغير ذلك كدليل بعينه وتتهم الشريعة ولكن الشريعة جاءت على فطر صحيحة ولهذا لم تشر إلى بعض الأحكام اكتفاءً بجبلة الفطرة وسلامتها.

فإذا انحرفت الفطر ولم تأتي الشريعة فمثل هذا يستدل عليه بأدلة عامة ولهذا حينما تأتي إلى قضايا المرأة والاختلاط تجد أن النصوص الشرعية في كلام الله ورسوله لم تأتي بالاستفاضة والتكرار لأن الله قد جعل الفطرة من جهة الغيرة وحب الستر والحياء جبلة فجاءت النصوص مكملة للنقص اليسير من نزوات الإنسان .

## وازع الطبع ووازع الشرع

إذا كانت رغبة الإنسان قوية جدًا من جهة مخالفة الفطرة جاءت النصوص قوية وإذا كانت ضعيفة جدًا فلا تأتي فيها نصوص لأنها وكلت للفطرة .

وازع الطبع مرده للفطرة ووازع الشرع مرده للنصوص الشرعية .

**مثال :** الشريعة قد حرمت سفر الرجل مع المرأة بلا محرم وحرمت على العابد الصالح أن يخلو بامرأة ليست بذات محرم وأن يسافر معها ولو كان من أهل الديانة وقوام العلم ، في حين لم تحرم الشريعة الخلوة بين الأب المشرك وابنته ولو كانت مسلمة فهذه فطرة وإنما حرمت على العابد الذي لديه وازع شرع لأن وازع الطبع ضعيف بالميل للمرأة الأجنبية عنه وأما غير الأجنبية كابنته لا يميل إليها الإنسان ولو كان كافرًا ; لهذا تجد الرجل الكافر يؤتمن على ابنته المسلمة ويسافر بها ولكن العالم الزاهد لا يخلو بامرأة أجنبية ولو لساعة .

ولهذا وازع الطبع في كثير من المواضع أقوى من وازع الشرع فيسكت الشارع الحكيم في هذا عن إيراد مثل هذه الأحكام اكتفاءً بوازع الطبع أو الفطرة الكاملة في ذات الإنسان .

## الفطرة والغرب

الخلط بين التطور المادي وتبديل الفطرة البشرية والقيم والأخلاق خلط سيئ فالطاقة والحضارة لم تنتج من احتكاك الرجل بالمرأة ، بل أن أصول الإنتاج كالمصباح والطيران قد وجد قبل أن يحلو الزنا وقبل أن ينتشر السفور فلا صلة له بهذا ; ولهذا تجد أمم ما زالت تنتج وتبتكر ومازال لديهم جانب الحياء والفطرة فلا صلة بين التقدم المادي وتبديل الفطرة .

والغرب لديه تبديل بعد الفكر الإنحلالي ولهذا لا يفهمون الشرائع فحينما تخاطبهم بالحجاب والاختلاط فلن يفهم بل ربما استهزئ وتهكم بالتشريع لأنه يبيح الزنا فأنت حينما تأتي بمقدمات تحرمها كالخلوة والحجاب فهو يحل ما ورائها فينظر إلى هذه المقدمات على أنها مقدمات خاطئة .

والفطر المبدلة لا يمكن أن تفهم النص إلا بالعودة للفطرة فالنبي ﷺ أرجع الرجل لفطرته ( أتحبه لأختك ؟ ) فهؤلاء يقولون نعم أرضاه فهو حق لها فإجابته تختلف عن إجابة ذلك الرجل صاحب الفطرة الصحيحة .

**والواجب في هذا الحال :**

1 ) تصحيح الفطرة المبدلة حتى يُفهم الخطاب ويرجع فيها إلى الفطرة الصحيحة قبل التبديل فإذا كان ثمة قصور في ذاتها فيرجع فيها إلى أبواب ضيقة لأن الإنسان ربما يرضى الزنا لابنته ولأمه وأخته لكن لا يرضاه لزوجته فلماذا تميز بينها وبين أمك وابنتك ، فلديه خيط واحد من خيوط الفطرة يُخاطب من خلالها .

2 ) النظر إلى مقدار تبديل الفطرة حتى ينزلوا النص الوارد في كلام الله ورسوله حتى يفهم مراد الله .

فإذا أردت أن تنظر إلى قضايا المرأة والاختلاط لا يمكن فهمها من رجل يحل الزنا فإذا حدثته بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ( فَالْيَدُ زِنَاهَا اللَّمْسُ) [9] حيث ينهى النبي ﷺعن مس المرأة فلن يقبله فهو لا يؤمن بما هو أبعد من ذلك فيستهزئ بالنص لأن أصوله مبدلة ، كحال الإنسان الذي يريد أن يقيم بناء على بحر فلا يمكن أن يستقيم لهشاشة القاعدة .

فلا يخاطب من يحل الزنا بالحجاب والاختلاط والخلوة وإنما يخاطب بالأصل فإذا أقر بالأصل يُؤتى بعد ذلك .

وأول ما حرم النبي ﷺ حرم الزنا والفواحش بجميع أنواعها ثم جاء بالمكملات التي هي سبل فلا تحرم الوسائل ويبقى الأصل والغاية حلالا ولهذا تجد النبي ﷺ حرم أكل أموال الناس بالباطل وما يتعلق بالسرقة قبل الربا لأن الربا أخذ مال بالتراضي وفيه جذوة من القبول فحرم السرقة والأكل بالباطل ثم جاء الربا متأخر حتى يكون بناء الفطرة سليمة فتستوعب.

قد جاء (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ إِنَّ آخِرَ مَا نَزَلَتْ آيَةُ الرِّبَا وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُبِضَ وَلَمْ يُفَسِّرْهَا لَنَا فَدَعُوا الرِّبَا وَالرِّيبَةَ) [10] لأنه عقد بين اثنين فالعلة لا تظهر من جهة استيعابهم لكن لما تكتمل الفطرة جاء آخر بناء وجانب الربا وهذا لا يدل على أن الربا هين بل إنه عظيم ولكن لأن الفطرة لا تقبله حتى يحرم ما يسبقه من السرقة وأكل المال بالباطل .

وبعض الناس إذا تبدلت لديهم الفطرة لا يشعر أنها مبدلة حتى تنتقل إلى غيره ، فإذا كان ثمة مدينة أو قرية أغلق عليها ثم كانوا عراة لا يلبسون شيء ونشأوا على هذا الأمر ثم خرجوا على الناس فيستنكروا أحوال المستترين لأنه نشأوا في بيئة مبدلة .

## ستر رغبات النفس :

من الأمور التي تتعلق بالفطرة ولها آثر في التبديل أن ثمة نظريات تقول أن هذا الأمر إذا كان موجود فلماذا يستر ولماذا يستحى من أمور موجودة ، والله جعل الميول محرمة كابتلاء في الإنسان ، فالنفس بها

[9] ) قال الحاكم في المستدرك(135/1): (وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراج أحاديث متفرقة في المسندين الصحيحين، يستدل بها على أن اللمس ما دون الجماع. منها: حديث أبي هريرة (فاليد زناها اللمس).

[10] ) أخرجه ابن ماجة، في كتاب التّجارات، باب التّغليظ في الرّبا، رقم الحديث 2276، 764.
ورواه أحمد في مسند عمر، ج1، رقم الحديث 246، 85.

رغبات مثل حب أكل أموال الناس أو ربما استراق النظر لأي من المحرمات ومتعة الشهوة وهذه الرغبات ابتلاء من الله للإنسان في نفسه فجاءت الشريعة بمنع إظهارها وأن الله لا يحاسب الناس بالخطرات التي تكون لديه.

وثمة مدارس تقول بالجهر بهذه الخطرات والشرائع تأمر بعدم التحدث بالسوء لأن التحدث يدعو للفعل والممارسة ولهذا تكون الأمور أقوال ثم أفعال وهذا تسلسل منطقي فلا يمكن العمل دون تحدث به ودون تفكر به وهذا هو التسلسل والشريعة جاءت إلى وأد أفكار السوء ولهذا جاء عن النبي ﷺ إن الله لا يحاسب بما حدثت به النفس كما جاء في القرآن الكريم في آيات متعددة .

فهذه الخطرات النفسية الشاذة المحرفة على الإنسان أن يكبتها فالابتلاء فيها بالمقاومة ألا تتحدث بها وألا تفعلها فالفكر إذا تحدث به تحول إلى عمل .

وما كل شيء يعرفه الإنسان وموجود في الناس يجوز إظهاره ، فالناس يعرفون خلقة بعضهم البعض من جهة الأجسام ولكن يسترون أنفسهم عن بعض فكما في الأبدان كذلك في المعاني ، والله سبحانه أوجد خطرات في نفس الإنسان وجوانب العورات حرم الله من إظهارها مع أنها موجودة حسًا وهيئاتهم واحدة ولكن الله حرم عليهم إظهار العورات بحدود معينة ، كذلك بجانب الأفكار والأقوال وخطرات النفس وفلتات اللسان فكان ثمة استواء في جانب خطرات النفس من أمور السوء حتى يكون ثمة توازن من جانب الفطرة وجانب الحياء .

## معيار الفطرة

أحكام الشريعة جاءت ببيان الوحي من الله تعالى وليست مبادلة فحينما بينت الشريعة أن يفعل الإنسان شيء ويحرم على غيره كما جاز للمسلم أن ينكح نساء أهل الكتاب في حين حرمت نساء المؤمنات على أهل الكتاب فالقضية ليست مبادلة .

كذلك ما يتعلق بالنظرة إلى قضايا المرأة في بلدان المسلمين وكثير ممن يتحدثون ممن ينتسب للعلم أو العقل والفكر وصلوا إلى مستوى من جهة بلدانهم من علاقة المرأة بالسفور والتبرج فوجد دور للزنا ومسارح للرقص فتجاوزا قضايا كبيرة جدًا فينظرون من هذا المعيار .

وهذه الباديات عتبات لغايات الانحراف والبعد عن الله سبحانه وتعالى .

ولهذا كلٌّ ينظر إلى طبيعته وموضعه فيقيس بحسب بيئته ، فالبعض يعيش في بيئة منحلة فإذا جاء إلى بيئة محافظة وفيها نوع تفريط رأى أنهم متشددين وهذا فطري كحال من يكون في بلد شديد البرودة فيأتي لبلد حار في زمن الشتاء فيسخر من إحساسهم بالبرد وهذا كما في الأبدان كذلك في العقول .

والمرجع في الفطرة ليست لبيئة الإنسان وإنما للمقاصد الشرعية والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وعلى الأمة الاعتزاز بهما وما جاء فيهما من تشريع عظيم وإكرام للرجل والمرأة .

ولهذا إذا نظر الغربيون إلى قضايا المسلمين مثل الخلوة والاختلاط ومس المرأة الأجنبية يتهكمون لأن الزنا لديهم مباح فالأذهان قد تتباعد في الفهم كما تتباعد الأبدان ;فينبغي ألا نخجل من عقيدتنا وديننا ونعلم أن الغرب قد ابتعد عن الفطرة فانحلوا وأباحوا المحرمات حتى وصلوا إباحة الشواذ كاللواط والسحاق وهذا دليل على أن هذا البعد أوجب علينا أن نخاطبهم على الأصل كما في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على سبيل التدرج .

وبعض الناس يخجل في بلدان المسلمين من قضايا التشريع فعلام تخجل ! وممن تخجل ! تخجل من أناس يحلون اللواط ونكاح البهيمة فهذا لا شك أمارة على الضعف والوهن .

أمة الإسلام بحاجة إلى قادة وحكام وسلاطين يواجهون الغرب بتصحيح الفطرة لديهم بدل من أن ننتظر نقد الغرب لماذا لديكم كذا وكذا ، فلماذا لا تؤسس جمعيات ومراكز حوار فيخاطب الحكام والسلاطين الغرب لماذا تبدلون الفطرة بدل أن ننتظر حاكم يخاطب أمة الإسلام لماذا لديكم قضايا المرأة ومثل ذلك ثم نخجل من الرد عليهم ، لا شك أن هذا وهن شديد وبعد عن الفطرة .

# العودة إلى الفطرة

المنافقون ستار حاجب عن وصول الغرب إلى الإسلام لأنهم يرون أن هؤلاء يتمردون عن دين الله ، ولو ثبتوا لكانوا من أهل الثبات واليقين .

فرجل لا يمانع من أن ينكح أمه أو أخته هذا بحاجة إلى الإعادة للفطرة قبل العودة للإسلام .

ومرجع الفطرة أن الله هو الخالق وهو الذي جاء بالشرائع وأنزل الوحي وتكلم به فنعلم أن الفطرة الصحيحة هي تلك الموجودة في كلام الله فنرجع لكلام الله من جهة الحياء والعفاف وامتثال شرع الله فهذا الخطاب الذي أراد الله امتثاله هي تلك الفطرة التي أرادها الله سبحانه وتعالى فالوحي جاء لحفظ الفطرة .

وإذا خاطبت أحد أنه مقهور ومظلوم فقطعًا سيتمرد ، ومقياس الظلم والقهر الذي يقع على المرأة أو الطفل أو الخادم والعامل مرده إلى الوحي وفي التشريع غنية ، فمن الأحكام والآيات والأحاديث ما هو قطعي ظاهر فلو نظر الإنسان إليه لوجد فيه غنية عن نظريات الغرب وكذلك مدارسهم العقلية.